مع غزّة

محمد صالح عمري
زيتونة غُرست في سويتو وأورفت في فلسطين

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثر على انتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء. «تشاؤم العقل ممزوجٌ بتفاؤل مبعثه المقاومة على الميدان» يقول الباحث والاكاديمي التونسي لـ«العربي الجديد»

أكسفورد ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظلّ ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

في الواقع، منذ تكشّفت درجة العدوان ونتائجه وأبعاده، تراجعت الهواجس البحثية واليومية عن الصدارة وامتزجت الحياة عموماً بأخبار وصور غزّة حتى تحوّلت غزّة إلى مصفاة أرى من خلاله الأشياء. يصاحب ذلك الشعور بالحرج، بالذنب الذي يصبغ لحظات الفرح والسير العادي للنشاط المهني والحياتي. وتأتي أحياناً لحظات الإحساس بتفاهة التفكير أو الإبداع الذي لا يتّخذ من غزّة موضوعاً وهدفاً له. ولكنّ تشاؤم العقل هذا، كما يقول غرامشي، ممزوجٌ بتفاؤل مبعثه المقاومة على الميدان وفي ميادين لم نكن نحسب لها كبير حساب، مثل الجامعات الأميركية والأوروبية، بما في ذلك جامعتي، «جامعة أوكسفورد»، فيعود إليّ بعض التوازن.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

أنا باحث وجامعي، بما في ذلك من مسؤوليات تُجاه الطلبة والتزامات بحثيّة وانشغالات معرفيّة. كلّ ذلك في إطار جامعة غربية عريقة لها سلطة قوية وتاريخ ملتبس مع فلسطين والقضايا العربية. تخصّصي الأساسي هو الأدب العربي لغير العرب، أي تقديم وتحليل الجانب الإنساني والإبداعي من الثقافة العربية. والعدوان وضع كلّ ذلك على المحكّ، حيث شكّل تهديداً على إنسانية الفلسطيني في عمقها، ليس فقط باعتبارها وجوداً مادّياً وإنما بكونها فكرة وإبداعاً. وبذلك تحدّاني هذا العدوان بأن أسهم في التمسّك بهذه الإنسانية والتذكير بها، فتحوّل اهتمامي التعليمي نحو الأدب الفلسطيني في سيمنارات مثل «غزّة تكتب»، و«فلسطين الشاعرة»، وقراءات وغيرها.

■ إلى أي درجة تشعر أن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

نتفهّم أن يشعر الشاعر أو الرسام بالإحباط والعجز في مواجهة إبادة للحياة بصفتها حياة. وليس ذلك بجديد في التاريخ البشري ولا في نظريات الأدب والفنّ. ولكنّ الإبادة لم تستطع يوماً أن تُنهي الإبداع، بل لدينا ما يُثبت أنّ الإبداع يتغذّى من القمع؛ فالإبداع في جوهره حرّية، حرّية الأشكال وحرّية المضامين والتحرّر من العادي، وإلّا فما معنى أبدع إبداعاً؟ وفي قضية الحال يتناقل العالم صور المجازر وتقتيل الأطفال، ولكنّه يتناقل أيضاً الشعر الفلسطيني، ويبدع في أشكال الصمود، كما نلاحظ مثلاً التحوّلات الفنّية للكوفية الفلسطينية. قصيدة الشهيد العرعير دخلت بيوت العالم وشوارعه ولغاته. هناك فعلٌ توليدي أصبح بمقتضاه الإبداع الفلسطيني محرّكاً لأساليب مبتكرة للمقاومة.

■ لو قُيّض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

مواصلة النهج النضالي المعرفي، ولكن ربّما تخصيص وقت وجهد أكبر لمجالات أقرب إلى الناس؛ مثل العمل التطوّعي الإنساني. وقد عاد لي بعض هذا الإحساس مع الإبادة والتنكيل باهل غزّة وتصاعد استعجالية المساعدة وأهميّتها على المستوى الحياتي.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

قيادات العالم متكلّسة وغير خلّاقة. ما زالت في أغلبها تتغذّى من المصادر الفكرية والاتساق نفسها. وقد انضاف إلى ذلك تفشٍّ مخيف للشعبوية ومعاداة الإبداع والنخب في شمال العالم كما في جنوبه. ولكن الحراك الطلّابي يذكّرنا ويذكّرهم بأنّ المستقبل ليس لتلك القيادات، وهو حراك قاعدته في الشمال وقضاياه في الشمال والجنوب معاً. هو حراك تجسير معرفي وتاريخي في نفس الوقت، وهو فعل حرّكه الصمود الفلسطيني والضيم التاريخي الذي توارثته الأجيال تماماً كما توارثت الإرادة في مقاومته. الجديد في هذا الحراك وغيره أنّه أفقيّ وغير منغلق، وهو بذلك نوعٌ من تجمّع أو ترافد أنواع ممّا يُسمّى بالألم التاريخي وتراكم إرادات تحرّرية.

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟

استحضر نيلسون مانديلا، وذلك لأصداء عديدة، لعلّ أهمّها أنّه بحاكم اليوم الأبارتهايد الجديد بعد وفاته كما حاكم الأبارتهايد في جنوب أفريقيا في حياته. أقول له: أنت زيتونةٌ غُرست في سويتو وأورفت في غزّة... ولها بذور في كلّ أصقاع العالم نذرها إخوةٌ محمود درويش وغسّان كنفاني وأجدادهم بابلو نيرودا وناظم حكمت ولوركا.

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

شكراً. لقد أعدتم بالمكم المكابر وبدفاعكم عن الكرامة الإنسانية الأملَ إلى العالم بأسره. شكراً. لقد حوّلتم «الجيش الذي لا يُقهر» و«الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط» إلى مسخرة العالم، وحوّلتم

محمد صالح عمري

بدفاعكم عن كرامة الإنسان أعدتم الأمل إلى العالم بأسره

يكاد العربيّ يصبح على هامش خريطة أنصار فلسطين

طغاة العالم إلى فارّين من شعوبهم وفارّين من العدالة.

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

في الواقع، لا أعرف ما المقصود بالإنسان العربي؛ فالفضاء العربي يشمل الحاكم المطبّع والمثقّف المتذلّل والمقاوم الشامخ والمبدع المقهور. يشمل بلداناً جرّمت نصرة فلسطين، أمّا سلعنة العروبة كشيء يمكن تسويقه أو تعميمه بغاية دعائية، أو حتى تعويمه لتغطية «العورات»، فقد أصبحت كلّها عمليات مفضوحة ولم تعد تنطلي على أحد. غزّة وضعت ما يُعرف بالإنسان العربي موضع شكّ وتساؤل، بل أحالت هذا الإنسان إلى هامش خريطة أنصار فلسطين. ويكاد الفلسطيني اليوم أن يقول مع شاعره: كلّ قلوب الناس جنسيتي فلتسقطوا عنّي جواز السفر (العربي).

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

دارين، أنتِ «احتمال الياسمين». ما زال مستقبلك مفتوحاً على كلّ الاحتمالات. أمّا رفاقك ورفيقاتك من الشهداء فقد خسرهم العالم. ومَن مِن رفاقك مكلوم الآن مثلك فهم شاهدون وشاهدات على قساوة العدوّ وجحود الصديق. عيونهم مفتوحة يقظة لا تمكن مغالطتها أو استبلاهها أو استغلالها. عيون تقول بكلّ اللغات: لن يمرّوا.

بطاقة

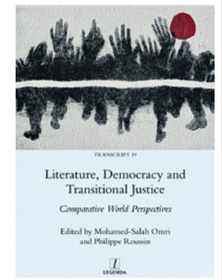

باحث وأكاديمي تونسي، يدرّس الأدب العربي المعاصر في «جامعة أوكسفورد» البريطانية. من مؤلّفاته بالانكليزية: «الجامعة والمجتمع في سياق الثورات العربية والانسيّة الجديدة» (2016)، و«الترافد بين العمل النقابي والثقافة والثورة في تونس» (2019)، و«الأدب والديمقراطية والعدالة الانتقالية» بالمشاركة مع فيليب روست (2022/ الغلاف). له مساهمات في الاعلام الغربي والعربي حول الشأن التونسي والتبادل الثقافي.

قراءة

فوّاز حدّاد في «جمهورية الظلام»
مآل الحكاية السورية

يراهن الروائي السوري، في روايته الأخيرة، على الأفراد؛ كي يُقال نجت بعض الإنسانية في جمهورية لا إنسانية فيها وفي زمان لا مكان للرحمة فيه

سومر شحادة

رواية فوّاز حدّاد الأخيرة «جمهورية الظلام» عملٌ يُضاف إلى أعمال يأخذ فيها الروائي السوري (1947)، على عاتقه فهمَ العنف المستطير الذي شهده بلده، وهو عنف في النصّ، كما في الواقع، مرتبط بالبنيات مُعقّدة شائكة. يعرض حدّاد أيضاً وجهة نظره عن مآل الحكاية السورية كلّها في رواية أرادها أن تنتمي إلى المخيّلة، إلّا أنّ ما يجمعها بالواقع ينفي عنها التخييل بالقدر الذي افترضه الكاتب. إنّها حكاية سورية إذاً، على الرغم من قسوتها، بل إنّها بقسوتها وخروجها عن المعقول صارت حكاية سورية. يتوافد على هذه الحكاية مُخبرون وأبطال، مثقّفون وكتبة، أصحاب ضمائر حرّة وخَبالة، يتوافد لصوص وضبّاط شرفاء. إنّها باتوراما شاملة أسوةً برواياتٍ فوّاز حدّاد الشهيرة، إذ تجمع في صفحاتها شخصيات من مشارب عدّة وعقائد مختلفة؛ يضعها الروائي في سردية تُفكّك القتل. والروائي بهذا، يستخدم الشخصيات كي يفسّر القتل. وكثيراً ما دفع رواياته في هذا المسلك الحادّ، الذي كلّ مساراته على الحافّة الخطرة للحقائق التي يعرفها السوريّون لكنّهم لا يقولونها بالوضوح الذي لديه. في «جمهورية الظلام» يُعيد الروائي سيرة الاستباحة إلى السياق الذي صنعته الشمولية، لا الطوائف التي تظهر مجرّد أدوات لتجييش البشر، ولحشد قوى الناس بعضها ضدّ بعض.

ما يبدأ مزحةً ينتهي إلى تراجيديا في لعبة الموت السوري

جاءت في البنية التي اعتمدها، في تطوّر الحبكة، وفي الأسلوب الذي نقل مُمكنات الحكاية من موقف ساخر صنعه الخلاف بين المُخابرات واتحاد الكتّاب عمّن يملك السلطة على الضمير وعلى رقابة الفكر، ومواقف ساخرة غيرها؛ نقلها حدّاد على امتداد 480 صفحة لتصير مواقف دامية مريرة تضغط على القارئ بصلافة واضطرار. وما بدأ مثل المزحة، انتهى لأن يكون تراجيديا محقّقة في جمهورية الظلام. العنوان دلالة على جملة من الأمور لا تقتصر على التعذيب، وإنما تشمل انعدام المصير الفردي، إنّها عن أفراد مصيرهم يُعتم في اللحظة التي يفكّرون فيها بالخروج عن الدور المُكلّفين به. هنا، لا الانتماء الطائفي يحمي الشخصيات، ولا الرتبة العسكرية تحميهم، ولا الولاء، وإنّما الشخصيات محميّة فقط بالدور الوظيفي المُحدّد الذي تؤدّيه لصالح «الأبد». الرواية تحكي قصصاً كثيرة تتوافد على الحبكة الأمّ، التي هي صراعٌ مَن يحوز الضمير. وبدا أنّ صاحب «المترجم الخائن» (2008)، استمرّ يبحث عن أصغر تفصيل في الحبكة الرهيبة المميتة التي صنعها، كي يكشفه، كي يُعرّيه، ويعرضه جليّاً أمام القارئ. سردٌ فوّاز حدّاد درسٌ في الكتابة. ببساطة إنّه فنّان نذر أدبه لمعركة عاصفة. لكن مهما يُمكن للمرء أن يتعلّمه من أدبه تماسُك الحبكة، صلابة المقولة، وإدارته المُتقنة لعناصر الرواية، إذ للجميع بدايته، والجميع معقود على نهايته بالطريقة التي تخدم ما أراده الكاتب. وهو هنا في الرواية الصادرة عن «دار رياض الريّس» (2023)، أراد للإنسانيّة أن تنجو في جمهورية الظلام، وعقد لأجل نجاتها وفاقاً بين مجموعة من الأفراد العابرين للطوائف، العابرين للانتماءات ومختلفي الولاءات، وكأنّما يراهن أخيراً على الأفراد؛ كي يُقال نجت بعض الإنسانيّة في جمهورية لا إنسانيّة فيها، وفي زمان لا مكان للرحمة فيه.

(روائي من سورية)

فوّاز حدّاد

معرض

صالح الهجر حروفيّات من أجل فلسطين
من طرابلس إلى غزّة

«لا شيء إلّا الضوء»، اكريليك على قماش (من المعرض)

طرابلس ـ **العربي الجديد**

ضمن فعاليات تظاهرة «طرابلس عاصمة للثقافة العربية» لعام 2024، افتُتح مساء الجمعة الماضي في «مركز العزم الثقافي» بالمدينة الواقعة شمالي لبنان، معرض بعنوان «من طرابلس إلى غزّة.. الف سلام»، للخطّاط والتشكيلي السوري صالح الهجر (1979)، ويتواصل حتى بعد غدٍ السبت. «العربي الجديد» التقت بالهجر الذي تحدّث إليها عن دور الفنّان اليوم في زمن الإبادة وهواجسه في ظلّ العدوان، مُعتبراً أنّ «ما يجري يمسّ كلّ إنسان وليس الفنّان فقط، وهَول الإبادة يصدم كلّ من لديه ذرّة ضمير في هذا العالم، حيثُ قُتّل الأطفال والنساء والأبرياء جريمةً مُمنهجة للعدوّ الصهيوني، وآلته العسكرية المتغطرسة لا تقتل الإنسان فقط بل تسعى للقضاء على روح الإنسان المُقاوم والصامد في أرضه، وهذا من المحال أن يتمّ، لأنّ المقاومة هي سمة الشعوب المظلومة والمقهورة».

عن طبيعة المعرض والقصّة من ورائه، يقول الهجر لـ«العربي الجديد»: «المعرض محاولة للإضاءة، ولو قليلاً، على الإبادة في غزّة وأهلها المستضعفين الصابرين، كما تحمل الأعمال رسالة سلام إلى القطاع الفلسطيني من عاصمة الثقافة العربية طرابلس». ويُتابع: «أنجزتُ أكبر لوحة حُروفيّة تُعرض في لبنان بمساحة 15 متراً مربّعاً، وبأبعاد 3 × 5 أمتار، وهي بعنوان «غزّة 7 أكتوبر 20 ألف شهيد»، وكان هذا عدد الشهداء في الوقت الذي أنجزت فيه اللوحة، وهي محاولة لتوصيف المشهد بصورة مختلفة، من خلال الحروف العربية التي تُبيّن حجم الكثافة السكّانية الأكبر في العالم، وحجم التدمير والقتل الذي مارسه العدوّ الصهيوني على غزّة وأهلها». ويُشير الهجر إلى «أنّ فكرة المعرض تبلورت خلال النقاشات التحضيرية لتظاهُرة طرابلس عاصمة الثقافة العربية، وقد توصّل القائمون على التظاهرة إلى ضرورة أن تكون غزّة في مركز تلك الفعاليات، كما تم التحضير والتنسيق لهذا المعرض من قبل إدارة بيت الفنّ، بالتعاون مع وزارة الثقافة اللبنانية، الذين بذلوا أقصى الجهود لإنجاح المعرض». من جهة أخرى يلفت، في حديثه إلى «العربي الجديد»، إلى التحدّيات التي تُواجه الخطّ العربي بشكل عامّ، مُعتبراً أنّ «هذا الحقل الفنّي ما زال يفتقر للاهتمام في منطقتنا العربية، سواء على المستوى الرسمي، أي من قبل الوزارات ومسؤوليها، أو حتى على مستويات أخرى كمدارس

يتضمّن أكبر حروفية عن غزّة في لبنان بمساحة 15 متراً مُربّعاً

تعليم الخطّ العربي ذات الاختصاص أو المعاهد، في حين يجب أن يحظى هذا الفنّ بالاهتمام الذي يستحقّه من جميع المعنيّين لأنه يُمثّل هويّتنا الفنّية والصورة الأجمل للُغتنا العربية». وختَم صالح الهجر حديثه مُستذكراً ما تعرّضت له المحترفات الفنّية في غزّة من تدمير، فضلاً عن استشهاد عشرات الفنّانين: «كلّ المحبّة والتقدير للفنّانين الصامدين في ما تبقّى من مراسمهم في غزّة، فالفنّان هو الذي يُعطي الصورة الحقيقية للمجتمع الذي ينتمي إليه، وأتمنّى منهم التوثيق التشكيلي التاريخي لهذه المأساة التي يعيشها شعبهم، وأقول لهم: إن فقدتُم أدواتكم ومراسمكم، فقد بقيت أيديكم وقلوبكم وأفكاركم، وهذه محالٌ على العدوّ أن يتخلّص منها».

بطاقة

خطّاط وتشكيلي سوري من مواليد مدينة الميادين في دير الزور عام 1979، ويُقيم في طرابلس. أقام عدّة معارض بين سورية والإمارات ولبنان؛ من بينها: «الكلمة بين الخطّ والشعر» (2001)، و«من وحي الفؤاد» (2003)، و«نسيج الحروف» (2010)، كما شارك في معرض جماعي بعنوان «سورية ضدّ النسيان» أُقيم في «متحف ثقافات الشعوب» بمدينة كولونيا الألمانية عام 2022.

فعاليات

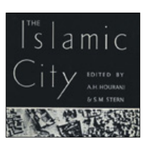

يُنظّم «نادي المجلس للكتاب» في «متحف الفن الإسلامي» بالدوحة، عند الخامسة من مساء الأربعاء، السادس والعشرين من الشهر الجاري، جلسة قراءة في كتاب **المدينة الإسلامية** من إعداد **البرت حوراني** و**صموئيل ستيرن**. يستكشف الكتاب تطوّر المدن في التاريخ الإسلامي خلال العصور الوسطى في بلاد فارس والعراق وسورية ومصر.

حتى الثامن والعشرين من حزيران/ يونيو الجاري، يتواصل في «رواق الفنون» بمدينة بن عروس التونسية معرض **تونس في الذاكرة** للفنان الفوتوغرافي **عمر عبادة حرز الله**. يحتوي المعرض، الذي افتتح الجمعة الماضي، 53 عملاً بالأبيض والأسود لعدد من المدن التونسية، تعود أقدمها إلى بدايات القرن العشرين، يحتفظ بها الفنان أو التقطها خلال تجربة استمرت أكثر من خمسين عاماً.

تنطلق، عند الثامنة من مساء الثلاثاء المقبل، فعاليات الدورة التاسعة من **مهرجان سفر السينمائي** في لندن، وتتواصل حتى نهاية الشهر الجاري. إضافة إلى الندوات والنقاشات، يشارك في المهرجان أكثر من خمسين فيلماً من خمسة عشر بلداً، تُعرض في مدن برمنغهام وكارديف وغلاسكو وهال وليفربول ومانشستر وأكسفورد وبليموث.

الكائنات الدقيقة، عنوان معرض للفنّان اللبناني **إدوار سعيد** (الصورة)، يتواصل في غاليري «Chaos» بالعاصمة اللبنانية حتى الخميس المقبل. يستوحي الفنّان أعماله، التي ترتكز على الحركة واللون، من روّاد الفنّ التجريدي مثل كاندينسكي وفرانك ستيلا، والحركتين التعبيرية والتجريدية الأميركيّتين.